مفهوم اللغة ومستوياتها وتطبيقاتها في علوم القرآن بين التراث والمعاصرة

الأستاذ المساعد الدكتور قحطان رشك دخيل
الجامعة المستنصرية ـ كلية الآداب ـ قسم اللغة العربية ـ العراق
dr.qahtan_rishak@uomustansiriyah.edu.iq

The concept of language, its levels and applications In the sciences of the Qur'an between heritage and contemporary

Assistant Professor Dr. QAHTAN RASHAK DAKHEEL
AL-Mustansiriyah University , college of Arts , the department of Arabic language , Iraq

الملخص:

يُعد بحثنا هذا محاولة للمقاربة اللغويّة في التلاقح بين اللغة في مستوياتها الأربعة وتطبيقاتها في مباحث علوم القرآن من التفسير اللغوي، المتمثّل بأسباب النزول إلى الناسخ والمنسوخ، إلى المكّي والمدني، فالقراءات القرآنيّة؛ في ضوء ما استقر من نظريات علم الدلالة الحديث؛ فكان قوام البحث مبحثين؛ كان الأول منها بيان لمفهوم اللغة، وجهود العلماء الأوائل في التأسيس لمستوياتها الأربعة؛ ذلك الموروث اللغوي القديم الذي عوّل عليه المحدثون في التأسيس لمنهج لغويّ يمتح من جهودهم بمنهج جديد خالفوا فيه القدماء، مع عرض للآراء بدقّة أكبر عند المحدثين؛ ولاسيما في البُعدين الصوتيّ والصرفيّ؛ نتيجة توظيف المحدثين الأدوات المختبريّة في التحليل الصوتي (المقطعيّ) ومن ثم بروز نتائج صوتيّة دقيقة ألقت بظلالها على البُعد الصرفي (البنية) في دراسة اللغة عند المحدثين؛ ولا يخفى على المطّلع قيمة ما أنتجته أقلام المستشرقين واللغويّين الغربيين عموماً؛ أمثال دي سوسير رائد المدرسة البنويّة، وفيرث رائد المدرسة السياقيّة، وتشومسكي رائد المدرسة التحويليّة من نظريات أراد مؤلفوها تحديد المعنى اللغوي بمزيد من الدقّة؛ فضلاً عن محاولتهم حصر الخصائص اللغويّة الجامعة لكلّ اللغات؛ وهو ما أغرى الباحثين العرب المحدثين في تطبيق هذه النظريات على اللغة العربيّة؛ في محاولة منهم لإبراز قيمة اللغة العربية ومواكبتها لمناهج الغربيين في البحث؛ وهو ما نتج عنه بروز مواقف متباينة عند اللغويين العرب المحدثين؛ فبعضهم كان موضوعياً في نتائجه اعتماداً على معيار خصوصيّة اللغة العربيّة؛ فوفق بين عالميّة النظريّة عند اللغويّين الغربيين، وخصوصيّة اللغة العربيّة؛ فجاءت نتائج بحثه اللغوي مشرقة ومنصفة؛ كالدكتور تمام حسّان، والدكتور خليل عمايرة... وآخرون اتهموا اللغة العربية -تبعاً للمستشرقين الغرب- بالقصور في بحثهم اللغويّ؛ وهم يلوون أعناق اللغة العربيّة عنوةً للنظريات اللغويّة العالميّة؛ متناسين خصوصيتها، ومقتفين أثر اللغويين الغربيين حدّ الانبهار؛ فجانبت نتائج بحثهم الموضوعيّة والإنصاف.

وجاء المبحث الثاني ليؤكّد قيمة التلاقح بين الجهد اللغويّ في الموروث اللغوي القديم ومباحث علوم القرآن؛ ليسلّط الضوء على أن النظريات الدلاليّة الحديثة من البنويّة والسياقيّة والنقديّة كانت حاضرةً في الفكر اللغويّ عند علمائنا القدماء؛ ولنبسط القول في هذا المبحث في الربط بين النظريات اللغوية الحديثة وما كتبته أقلام القرآنيّين من مباحث مؤسسة لهذه النظريات في بعدها التطبيقي.

الكلمات المفتاحية: القرآن الكريم، مفهوم اللغة، علوم القرآن، التفسير اللغوي، الناسخ والمنسوخ، النظريات الدلالية الحديثة، مناهج الغربيين.

Abstract:-

Our research is an attempt to approach the linguistic approach in the concept of language and its characteristics between the ancients and the modernists. A judgmental study; And a statement of the linguistic thought of the ancients, on which the modernists relied on establishing a linguistic curriculum that allows them to adopt a new approach in which they disagreed with the ancients, with a more accurate presentation of the opinions of the modernists Especially in the phonemic and morphological dimensions; As a result of the use of laboratory tools by modernists in phonemic analysis (syllabus), and then the emergence of accurate phonemic results that cast a shadow over the morphological dimension (structure) in the study of language among the hadiths; They note the structural approach adopted by them between the four linguistic dimensions. (Phoneme, morphology, grammar, and connotation); This is the approach adopted by most of the modern scholars in an attempt to limit the meaning. Establishing a linguistic theory in which they distinguished themselves from the ancients; It is no secret to the insider the value of what was produced by the pens of Orientalists and Western linguists in general. The likes of De Saussure, the pioneer of the Prophetic school, Firth, the pioneer of the contextual school, and Chomsky, the pioneer of the transformative school, from theories whose authors wanted to define the linguistic meaning with more precision. In addition to their attempt to limit the linguistic characteristics of all languages. This is what lured modern Arab researchers in applying these theories to the Arabic language. In an attempt to highlight the value of the Arabic language and its alignment with Western approaches to research; This has resulted in the emergence of different positions among modern Arab linguists. Some of them were objective in their results depending on the criterion of the specificity of the Arabic language. He reconciled between the universality of theory among Western linguists, and the specificity of the Arabic language. The results of his linguistic research were bright and fair. Like Dr. Tammam Hassan, Dr. Khalil Amayreh... and others accused the Arabic language, according to the Arab linguists, of deficiencies in their linguistic research. And they forcibly twist the necks of the Arabic language to international linguistic theories. Forgetting its privacy, tracing Western linguists to the point of astonishment; It set aside the objective and fair results of their research.

key words: The Holy Quran, The concept of language, Quran Sciences, Linguistic interpretation , Canceling and canceled, Modern semantic theories, Westerners curricula.

المبحث الأول

مفهوم اللغة ومستوياتها اللغويّة

أولاً: مفهوم اللغة:

اللغة: نظام من العلامات الاصطلاحية ذات الدلالات الاصطلاحية[١]؛ والاصطلاح يعني الاتفاق والتواطؤ بين أفراد الجماعة اللغوية[٢]؛ وهذا المفهوم ليس ببعيد عن علمائنا الأوائل فهو ما أشار إليه ابن جني(ت٣٩٢هـ) في قوله: "باب القول على أصل اللغة أإلهام هي أم اصطلاح قال:" هذا موضع محوج إلى فضل تأمل؛ غير أن أكثر أهل النظر على أن أصل اللغة إنما هو تواضع واصطلاح"[٣]؛ ومثله الفارابي (ت٣٩٣هـ) في معرض حديثه عن نشأة اللغة بقوله: "ويكون ذلك أولا ممن اتّفق منهم. فيتفق أن يستعمل الواحد منهم تصويتا أو لفظة في الدلالة على شيء ما عندما يخاطب غيره فيحفظ السامع ذلك، فيستعمل السامع ذلك بعينه عندما يخاطب المنشئ الأول لتلك اللفظة، ويكون السامع الأول قد احتذى بذلك فيقع به، فيكونان قد اصطلحا وتواطئا على تلك اللفظة، فيخاطبان بها غيرهما إلى أن تشيع عند جماعة"[٤].

ويعدّ تعريف ابن جني للغة بأنّها: "أصوات يعبّر بها كلُّ قوم عن أغراضهم"[٥] من أقدم ما وصل إلينا في تحديد مفهوم اللغة؛ أمّا عند اللسانيين المحدثين فتدور أغلب تعريفاتهم للغة من حيث أنها (نظام) أولاً وقبل أي شيء؛ فقد عرّفها ستيفن أولمان بأنها:" نظام من رموز صوتية مخزونة في أذهان أفراد الجماعة اللغوية"[٦].

في حين يرى ماربو باي أن اللغة لأنها نظام من النواقل ذات المعنى تستلزم اثنين فأكثر، حتى عندما تتكلم مع نفسك فأنت تجرّد من شخصك فردًا متكلما وآخر سامعًا، وهي تعتمد على الاصطلاح والاتفاق الجماعي السابق، بين أعضاء الجماعة اللغوية، وعلى المعنى أو المعاني التي تستدعيها أصوات خاصة[٧].

ولكن اللسانيات الحديثة وجدت أصولها فيما قرره دي سوسير من معتقدات وعدّها أساسًا لمذهبه، فاللغة عنده: هي نظام منسوق ذو وظيفة اجتماعية محدّدة، وهي نظام من العلاقات يرتبط بعضها ببعض على نحو تكون فيه القيم الخاصة بكل علامة بشروط على

جهة التبادل بقيم العلامات الأخرى؛ والعلامة اللغوية ذات طبيعة مركبة، وهي توليفة من الشكل الصوتي الذي يشار به إلى المعنى (الدال) والمعنى نفسه (المدلول)[٨]؛ ومن حصيلة هذه التعريفات عند اللسانيين المحدثين في بيان مفهوم اللغة نجد أنها تؤكّد على محورين أساسيين؛ وهما:

١- طبيعة اللغة؛ وهي أنها أصوات.

٢- وظيفة اللغة؛ أي إنها أداة للتعبير عن الأفكار.

ومن مقارنة ما نتج عن الفكر اللساني الحديث مع تعريف ابن جني السابق نجد أنه احتوى محورَي اللسانيين المحدثين وأضاف إليها محوراً ثالثًا، فقوله:(أصوات) يمثّل ماهية اللغة؛ وهي الأصوات التي تعبّر عن الأفكار، وتتألف منها الكلمات والجمل والتراكيب؛ وقوله: (يعبّر بها...)، هو إشارة للوظيفة المركزية لها، وهي التعبير والإبلاغ والتواصل والتنبيه، وصياغة الأفكار، والنداء والطلب وإثارة المشاعر والأحاسيس...؛ وقوله: (كل قوم) إشارة إلى اجتماعيّة اللغة؛ لذا فهي تختلف باختلاف المجتمعات البشرية؛ فضلاً عن عبارته المتممة وهي قوله: (عن أغراضهم)، فهي من متممات الناحية الوظيفية في قوله: (يعبّر بها).

ويرى الدكتور رشيد العبيديّ أن تعريف ابن جني جامع شامل، وهو أدق تعبير وأصدق ما يعبّر به عن حقيقة اللغة، في حين أكّد بن خلدون (ت٨٠٨هـ) على الطبيعة الاجتماعية للغة؛ إذ يرى أنها ملكة لسانية يكتسبه الإنسان بالتلقين عن الأبوين والمجتمع؛ حتى تصبح ملكة كسائر الملكات الإنسانية كالخط، والرسم، والشعر[٩].

والجديد الذي أضافه دي سوسير في تعريف ماهية اللغة أي لغة هو عنصر النظام[١٠]؛ وهو من جملة المميزات التي أقرها دي سوسير في وصفه اللغة بصفها موضوع اللسانيات أنها مبنية على نظام مخصوص أي إنها منظمة تنظيمًا داخليًّا باطنيًّا، وعلى عالم اللغة أن يكشف أسرار هذه البنية [١١]؛ لما تحويه اللغة من جوانب شديدة التعقيد، تتطلب أكثر من منهج لفك شفراتها وتحليل محتوياتها، وكشف مقاصدها، ولا يتسنى لمنهج واحد أن يصف خصائص اللغة وصفاتها أو يفسر ظواهرها تفسيراً واضحاً يصيب كبدها، ومن ثم قسم العلماء اللغة إلى عدة مستويات تحليلية، ليتمكنوا من كشف محتوياتها وإظهار أسرارها ومعرفة مضمونها[١٢].

وينتهي البحث في تعريف اللغة وبيان ماهيتها عند الدكتور محمد محمد يونس إلى تعريف اللغة" بأنّها نظام من العلامات المتواضع عليها اعتباطا التي تتسم بقبولها التجزئة، ويتخذها الفرد عادة وسيلة للتعبير عن أغراضه، ولتحقيق الاتصال بالآخرين، وذلك بوساطة الكلام، والكتابة"[١٣]؛ ولبيان المفاهيم المكونة لهذا التعريف نتبع التسلسل الآتي:

١- أنها علاماتٌ:

عرف سوسير العلامة (sign) بأنها المجموع الناجم عن ارتباط الدال بالمدلول، والرابط بينهما رابط اعتباطي، ولّما كُنّا نعني بكلمة دليل المجموع الناتج عن الجمع بين الدال والمدلول، يمكننا أن نقول: إن الدليل اللغوي اعتباطي[١٤].

ويرى الدكتور السعران أن من الممكن إرجاع كل حاسة من الحواس الإنسانية إلى نظام من العلامات الاصطلاحية ذات الدلالة، فهمي تكون سمعية إذا خاطبت الأذن، وبصرية إن خاطبت العين، ولمسية إن خاطبت اليد، وشمية إن خاطبت الأنف، ومذاقية إن خاطبت اللسان؛ وقد توسعت المجتمعات الإنسانية في إنتاج أنواع من أنظمة العلامات غير اللغوية، بعضها يقوم على الإشارة وتخاطب العين، وبعضها يخاطب السمع كلغة الطبول الذائعة عند زنوج أفريقيا، أو نقل الرسائل بوساطة الطبول كما في الشمال الغربي من الأمازون[١٥].

وفضلا عن العلامات الصوتية اللغوية بمعناها المعجمي هناك علامات قواعدية، على سبيل المثال كلمة (ساهر) تتكون من علامتين: هما:

١- المادة المعجمية (س ه ر).

٢- صيغة الفاعل.

والفرق بين العلامتين المعجمية والقواعدية، إن القواعدية يمكن حصرها بعد الاستقراء؛ لأنها محدودة العدد، أما المعجمية فهي غير محدودة، لدخول علامات جديدة في كل وقت، ولأنها تشير إلى أشياء خارج لغوية. ومثلما تطلق العلامات على المفردات تطلق أيضًا على التراكيب، كالمركب الإضافي، نحو:(كتاب سعيد)، والوصفي، نحو:(سيارة حمراء)؛ وأكبر ما تكون عليه العلامة في التحليل القواعدي هو الجملة[١٦].

٢- أنها اعتباطيّةٌ:

الرابط بين الدال والمدلول رابط اعتباطي، ولّما كُنّا نعني بكلمة دليل المجموع الناتج عن الجمع بين الدال والمدلول، يمكننا أن نقول: إن الدليل اللغوي اعتباطي. وهكذا فإن المتصور الذهني (أخت) لا تربطه أي علاقة داخلية بتتابع الأصوات الآتي: الهمزة، الخاء، التاء، والتنوين الذي يقوم له دالاً، فمن الممكن أن تقوم له أي مجموعة أخرى من الأصوات؛ والدليل استعمال اللغات الأخرى غير هذه الأصوات للدلالة على مفهوم الأخت في العربية[١٧].

وغير بعيد مفهوم الاعتباطية عند علمائنا الأوائل، فقد أورد عبد القاهر الجرجانيّ (ت٤٧١، أو٤٧٤هـ) في معرض حديثه عن الفرق بين قولنا:(حروف منظومة)، و(كلمٌ منظوم)، أن نظم الحروف ليس واجبا لمعنى اقتضاه، " ولا الناظم لها بمقتفٍ في ذلك رسمًا من العقل اقتضى أن يتحرى في نظمه لها ما تحراه، فلو أن واضع اللغة كان قد قال (ربض) مكان (ضرب) لما كان في ذلك ما يؤدي إلى فساد"[١٨].

وهكذا يمكن أن نستنتج أن اختيار الدال لمدلول معين إنما هو عمل اعتباطي عشوائي، لا يخضع إلى منطق أو تعليل، وبهذا تخالف اللغة الطبيعية الرموز المعبّرة كإشارة الصليب التي تدل على صلب المسيح عند النصارى[١٩].

٣- أنها نظامٌ:

كان اللسانيون قبل سوسير ينظرون إلى اللغة على أنها مجموعة من الأصوات، تلك العناصر المادية التي يمكن سماعها ونطقها، وتتسم بخصائص فيزيائية مميزة؛ وعليه فإن تعريف اللغة على هذه النحو شبيه بمن يعرّف البيت بأنه أكوام من الحجر، والإسمنت، والطين، والخشب، والزجاج. وقد اعترض ابن سينا (ت٦٢٤هـ) على تعريف البيت بهذه الطريقة؛ متغافلا عن مراعاة الهيئة، والرصف، والترتيب[٢٠].

وهو الاعتراض نفسه بنظر الدرس اللساني الحديث؛ ولاسيما عند سوسير الذي يرى أن اللغة قواعد مستقرة في أدمغة المتكلمين، وينظر إليها من حيث هي نظام قواعدي جماعي راسخ في الأذهان؛ واللغة نتاج جماعي من المواضعات الضرورية الاجتماعية التي تمكّن المتكلمين من تفعيل الملكة اللسانية[٢١].

وإذا ما نظرنا إلى نظام اللغة العربية وجدناها تتكون من أربعة وثلاثين صوتا، تكوّن الكلمات ومن ثمّ تنظم التراكيب تبعا للمعنى؛ وعلاقات النظم التركيبية تتوقف على نوعين منها؛ وهي:

أ - العلاقات الاستبداليّة:

وهو عملية تتم داخل النص، إي إنه تعويض عنصر في النص بعنصر آخر، وهو علاقة اتساق، والاستبدال وسيلة أساسية تعتمد في اتساق النص فهو عملية تتم داخل النص؛ ومعظم حالات الاستبدال النصي قبلية، أي علاقة بين عنصر متأخر ومتقدم، وبناءً عليه يعد الاستبدال مصدراً أساسيًّا من مصادر اتساق النص بلحاظ العلاقة بين العنصر المستبدِل والمستبدَل، وهي علاقة قبلية بين عنصر سابق في النص وعنصر لاحق فيه؛ والعلاقة في الاستبدال تقتضي إعادة التحديد والاستبدال[٢٢].

فالمتكلم عندما يقول:(استقبلتُ في بيتي خمسة أصدقاء)؛ فإنه قد اختار كلمة (استقبل) من مجموعة من الخيارات الممكنة مثل:(أكرم)، و(ضرب)، و(قتل)؛ واختار التاء المضمومة الدالة على المتكلم بدلاً من التاء المفتوحة، والمكسورة... وتدخل كل كلمة من الكلمات المختارة في علاقة استبدالية مع غيرها من الكلمات الممكنة التي استبعدها.

وتقسم العلاقات الاستبدالية على علاقة التغاير وهي تعود إلى رغبة المتكلم في التعبير عن غرضه البلاغي، والعلاقة بين (استقبل) وغيرها من الأفعال التي كان من الممكن أن تحلّ محلها؛ وعلاقة التشابه وهو أن الكلمة المذكورة تشبه الكلمات البديلة، فكلمة (استقبل) تشابه الكلمات (استقبلوا)، (استقبلا)، (استقبلن) في المعنى وإن اختلفت معها في الشكل، وليس بإمكان المتكلم أن يستبدلها مكان الكلمة التي اختارها لأن النظام والسياق اللغوي يفرض عليه استخدامها[٢٣].

ب - العلاقات الائتلافية:

يحكم المعنى الذي يريد أن يعبر عنه المتكلم بنوع آخر من العلاقات، وهي العلاقات الائتلافية، والتي يسميها دي سوسير الترابطية؛ ومثاله عندما يريد المتكلم تنفيذ حكم الإعدام في شخص ما بقطع رقبته فيقول:(ضُرب عنقه)، ولكن ليس له أن يقول: (ضرب

جيده) مثلاً، على الرغم من الترادف الإدراكي بين الكلمتين (عنق)، و(جيد)؛ والسبب هو أن الائتلاف بين(الضرب)، و(الجيد)غير مألوف في العربية[٢٤].

وتكاد تشبه هذه العلاقة بما هو معروف في اللغة بـ(المصاحبة اللغوية) وهي مصطلح استخدمه بعض اللغويين، ولاسيّما أتباع فيرث؛ ويشير إلى اشتراك الوقوع المألوف للمفردات المعجمية المستقلة، على سبيل المثال كلمة(سعيد) تتصاحب مع كلمة (مناسبة)؛ وتتصاحب كلمة(بريد) مع كلمتي (رجل)، و(صندوق).

المصاحبات – إذاً – نمط من العلاقات المعجمية الأفقية، ومن الناحية اللغوية يمكن التنبؤ بها لغويا على نطاق واسع، أو على نطاق ضيق؛ والمفهوم من هذا النص أن المصاحبة اللغوية ليس المقصود بها اقتصار صحبة لفظ معين للفظ واحد من دون غيره في جميع الكلام المستخدم في لغة معينة؛ بل صحبة لفظ للفظ واحد أو لعدد من الألفاظ؛ لذا عرفت بأنها (الارتباط الاعتيادي للكلمة في اللغة مع كلمات مخصوصة في جمل)، وهذا ما أطلق عليه مدى المصاحبة؛ وكلما قلّ عدد الألفاظ المصاحبة للفظ معين(أي كلما كان المدى محدوداً) زادت قوة التنبؤ بوقوعها(أي الألفاظ المصاحبة) عندما يذكر هذا اللفظ.

وتعددت المصطلحات العربية المقابلة لمصطلح(collocation)، فقد ترجمها الدكتور محمد أبو الفرج بالمصاحبة، وترجمها الدكتور أيوب بالتلازم، وأطلق عليها الدكتور تمام حسان التوارد، وترجمها معجم مصطلحات علم اللغة الحديث بـ(المصاحبة اللفظية)، وترجمها الدكتور محمد علي خولي بـ(انتظام، تتابع)، كما استخدم لها مصطلح القرائن اللفظية، وترجمها الدكتور صبري السيد بـ(التضام) [٢٥].

٤- القابلية للتجزئة:

وهي من سمات اللغة الإنسانية، لما كانت العلامات اللغوية وحدات ائتلافية، فذلك يعني أن المتكلمين بإمكانهم أن يجزّئوا تلك العلامات، ويعيدوا تركيبها للتعبير عن معنى مغاير مثلما يفعل الطفل بألعاب الفك؛ ويشير اللسانيون عادة إلى نوعين من التجزئة، تجزئة التراكيب إلى مصروفات كما في جملة (الولد يبكي)، فيمكن تجزئتها إلى: (أل + ولد + ب ك ي بصيغة (يفعل)؛ والثانية تجزئة المصروفات إلى أصوات؛ ومثاله كلمة (ولد) إلى: (و + فتحة + ل + فتحة + د)[٢٦].

٥- الإنتاجية:

وهي من أهم الخصائص التي تميز اللغة البشرية عن لغة الحيوانات؛ والتي تعني أن المتكلمين يستطيعون أن ينطقوا بتركيبات لم يسبق لهم أن سمعوها من قبل؛ ويعود هذا جزئيًا إلى الوضع السابق للغة، وجزئيا إلى استعمال المتكلم(٢٧)؛ وقد فطن إلى سمة الإنتاجية من علمائنا الأوائل بن مالك (ت٦٧٢هـ) في ذهابه إلى أن المتكلمين غير مقيدين في كلامهم بما قيل سابقًا، بل عليهم أن يتقيدوا بما وضعته العرب من المفردات، والمركبات الجزئية فقط(٢٨).

٦- النقل الثقافي:

ونعني به أن اللغة المعينة تنتقل من جيل إلى آخر بالتعلم، وليس بالوراثة، وهذا ما يميز اللغة الإنسانية عن لغة الحيوانات الغريزية الموروثة والتي تكون ردود أفعال غريزية غير مكتسبة؛ فالقطط في كل مكان من العالم تستعمل الصوت نفسه؛ وبهذا تختلف اختلافا بيّنًا عن اللغة الإنسانية المكتسبة وليست اللغة الملكة، لأن اللغة الملكة هي مقدرة موروثة(٢٩).

ثانياً: التفكير اللساني عند العرب:

يتبادر سؤال إلى الذهن؛ وهو هل أدرك علماء العربيّة القدامى اللسانيات الحديثة؟

الجواب: على مستوى المصطلح كانت المصطلحات اللسانية الحديثة حاضرة عند علمائنا؛ فقد استعملوا العربية، والنحو، وعلم العربية، وفقه اللغة، وعلم اللسان، و علم اللسان؛ فمصطلح العربية كان مصطلحا عاما لعلوم اللغة عند العرب وقد يريدون به النحو كما قال الزبيدي(ت٣٧٩هـ) في طبقاته عن أبي الأسود الدؤلي(ت٦٩هـ) أنه:" أول من أسس العربية"(٣٠)؛ واستعمله السيرافي(ت٣٦٨هـ) في أخباره بقوله:" سألت نصر بن عاصم وهو أول من وضع العربية"(٣١)؛ وذكر الزبيدي في مقدمته مصطلحًا يستعمل في اللسانيات الحديثة وهو مصطلح (اللسان العربي)(٣٢)؛ أما مصطلح (علم اللغة) فيدل عند كثيرين على دراسة اللغة دراسة عامة بغض النظر عن نوعها، وذلك بوصف بنياتها و خصائصها وعلاقاتها باللغات والنُظُم التبليغية الأخرى، وبعبارة أبسط علم اللغة مرادف للسانيات في المستوى الاصطلاحي إلا إن المشكلة التي تمنع التسوية بينهما متأتية من استعمال العرب القدماء لمصطلح (علم اللغة)

بالمعنى الخاص المتعلق بمتن العربية ومفرداتها كما عند الرضي (ت٦٨٨هـ)، وابن خلدون(ت٨٠٨هـ) وأبي حيان (ت٧٤٥هـ)، اللذين ربطوا بين علم اللغة وفقه اللغة بقضايا اللغة العربية خصوصاً؛ مساوين بين المصطلحين (علم اللغة وفقه اللغة)[٣٣].

وقد ساوى ابن النديم(ت٣٨٠هـ) بين مصطلح (اللسان)، ومصطلح (اللغة) في المفهوم كما هو الحال في وقتنا الحاضر؛ واستعمل مصطلح (اللسان العربي) في قوله: "أسماء النقلة من اللغات إلى اللسان العربي"[٣٤]؛ فجمع اللغة على (لغات) مما يعني أنّ مصطلح (اللغة) على مستوى المفهوم لم يعد يعني (اللهجة) كما هو معروف عند اللغويين الأوائل عند استقرائهم للغة، وقال (اللسان العربي) مما يجعلهما إي (اللسان)، و(اللغة) مترادفين منذ عصر ابن النديم كما هو واضح من النص.

أما مصطلح (علم اللسان) فقد ظهر أول الأمر في كتاب إحصاء العلوم للفارابي (ت٣٣٩هـ) للدلالة على كل العلوم اللغوية، متجها بالمصطلح نحو الدلالة العامة من دون تخصيص للغة دون أخرى[٣٥].

أما مصطلح فقه اللغة فهو قديم عند العرب؛ فقد كان عنوانا لكتب لغوية منها كتاب الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها لابن فارس(ت٣٩٥هـ)؛ ضمنه كثيراً من مسائل فقه اللغة التي تتناولها المصادر الحديثة مثل نشأة اللغة، وخصائص اللسان العربي، واختلاف لغات العرب، والقياس والاشتقاق في اللغة؛ ومثله كتاب فقه اللغة وسر العربية لأبي منصور الثعالبي (ت٤٢٩هـ) [٣٦].

وتدرس كتب اللسانيين المحدثين اللغة على مستويات أربعة، صوتية، وصرفية، ونحوية، ودلالية؛ لما تحتويه اللغة على جوانب شديدة التعقيد، تتطلب أكثر من منهج لفك شفراتها وتحليل محتوياتها، وكشف مقاصدها، ولا يتسنى لمنهج واحد أن يصف خصائص اللغة وصفاتها أو يفسر ظواهرها تفسيراً واضحًا يصيب كبدها، ومن ثم قسم العلماء اللغة إلى عدة مستويات تحليلية، ليتمكنوا من كشف محتوياتها وإظهار أسرارها ومعرفة مضمونها؛ وتتظافر هذه المستويات مجتمعة في تحليل اللغة، وكل مستوًى هو مكمّل للمستوى الذي يليه[٣٧]؛ لذلك فإن مجالات الدرس في علم اللغة الحديث هي دراسة الأصوات، والبنية، ونظام الجملة، ودراسة دلالات الألفاظ والعلاقات بينها، والبحث في نشأة اللغة، وعلاقة

اللغة بالمجتمع[٣٨].

وعند النظر في تاريخ اللسانيات في العالم العربي نجد أنها واجهت إشكالية التجديد، وقد تجد اليوم من يحاول أن يتهم اللغوي العربي بخلوه من الملاحظات والمنهجية، وقد رأى بعضهم أن التراث في مجال اللسانيات إما معطيات موصوفة، أو مفاهيم وصفية، أو أصول وتأملات، ورأوا أن الخطأ الأول في تصور التراث هو الاعتقاد بأن لابدّ من توظيفه في بناء نحو يصف اللغة العربية، وأن الاعتقاد بأن الآلة الواصفة للغة العربية المعاصرة أو القديمة تحتاج - ضرورةً - إلى مفاهيم القدامى العرب وأصولهم، اعتقاد خاطئ من وجهة نظرهم[٣٩].

وفي المقابل ثمة من رأى أن العرب القدامى قد أولوا اللغة العربية اهتماماً واسعاً، وقدموا ملاحظات ذات قيمة حول قضاياها، وتعد رؤاهم هذه بالنسبة إلى زمانهم متطورة، وقد قاموا بجهد هائل في دراسة اللغة، واجتهدوا في جمع أصول اللغة ولمِّ شتاتها واستنباط أحكامها العامة، بل رأوا أنه بالإمكان تتبع المفاهيم التي أتوا بها ومقارنتها ببعض المفاهيم الألسنية المعاصرة[٤٠]؛ ومن العلماء الذين ربطوا الفكر اللغوي القديم والبحث اللساني الحديث ليوردي، ولِبتشي، ومونان، وكريستيفا وروبنز وغيرهم[٤١].

لذلك فإن اتهام التراث العربي اللغوي بالنقصان والزيف أحيانًا يجب أن يخصّ بعض الجهود؛ لا جميعها، لأن الملاحظات والتحليلات التي أثارها القدامى يمكن أن تعبر عن مناهج المعاصرين في اللسانيات المعاصرة، وهذا جعل كثيراً من علماء الغرب في مجال اللسانيات يتجاهلون جهود القدامى العرب في مجال الدراسات اللغوية؛ لأسباب سياسية، أو فكرية، أو للجهل المطبق أو لظروف أخرى لا نعلمها.

ولنا أن نسأل: ما هي إسهامات علماؤنا الأوائل في هذه المستويات؛ وهل هي ناضجة معرفيًا كما هو الحال في الدرس اللساني الحديث؟

للإجابة عن هذا السؤال لابد من تتبع جهود علمائنا الأوائل في كل مستوًى من هذه المستويات؛ على النحو الآتي:

أولاً: المستوى الصوتي:

بدأ اهتمام اللغويين القدامى بالقضايا الصوتية في أكثر من كتاب، فقد تعرّض الخليل(ت١٧٥هـ) في تصنيفه لكتاب العين على أسس صوتية، تمثلت في التدرج الصوتي لمخارج الحروف، بدأً بأقصاها في الحلق وهو حرف العين ثم الأدنى فالأدنى حتى انتهى بالشفويّة، " وإنما كان ذواقه إياها إنه كان يفتح فاه بالألف ثم يظهر الحرف"[٤٢]؛ فضلا عن تمييزه عن طريق صفات الأصوات بين الكلمات الأصيلة في العربية والدخيلة عليها؛ كما في قول الخليل:" فإن وردت كلمة رباعية أو خماسية معرّاة من حروف الذلق أو الشفوية ولا يكون في تلك الكلمة من هذه الحروف حرف واحد أو اثنان أو فوق ذلك فاعلم أن تلك الكلمة محدَثة مبتدعة"[٤٣].

فإذا ما وصلنا إلى سيبويه (ت١٨٠هـ) نجد كتابه مكتنزاً بخفايا الدرس الصوتي، وبيان مخارج الأصوات، وصفاتها من المجهور، والمهموز، والمستعلي، والمستفلي، والمطبق، والشفويّ، واللثوي، فضلا عن تمييزه بين الأصوات المستحسنة، والأصوات غير المستحسنة[٤٤]؛ وصولا إلى ابن جني في الخصائص، الذي ضمنه مباحث صوتية لا يزال الدرس اللساني الحديث لم يُضف إليها جديداً إلا باعتماد الأجهزة المختبرية؛ ولذلك يقول د. تمام حسان:" لست أشك لحظة واحدة في أن هؤلاء العلماء الأجلاء قد استطاعوا بالملاحظة فقط...أن يصلوا إلى وصف دقيق للأصوات العربية، من دون أن يكون لهم من الوسائل الآلية التي يستخدمها المحدثون ما يستطيعون بواسطته توثيق نتائج مدركاتهم الحسية، ولقد بينوا مخارج الأصوات، وصفاتها، واشتمل ذلك عند الكثيرين منهم على أصوات غير عربية شاعت في البيئة العربية في القرن الثاني الهجري"[٤٥].

ولم يكن الجهد الصوتي عند علمائنا الأوائل مقتصرا على علماء اللغة، فقد كانت لإسهامات البلاغيين رصينة في دراسة الصوت؛ بلحاظ توظيفهم نظرية مخارج الأصوات، وجعلها معياراً بلا غيًا ونقديًا في بيان فصاحة اللفظة، فكان التقارب المخرجي والتباعد هما الفيصل في تمييز الألفاظ الفصيحة من غيرها؛ وكذلك فعل فلاسفة العرب المسلمين الذين كان لاشتغالهم بالموسيقى سببًا في دراسة الأصوات، ولاسيما ابن سينا في دراسته للأصوات[٤٦].

وهكذا نرى أن علماءنا الأوائل من لغويين، وبلاغيين، وفلاسفة، ومعجميين كانت

لهم إسهامات فاعلة في إنضاج الدرس الصوتي اعتماداً على الذوق البحت، ومع ذلك فقد توصلوا إلى نتائج تستوجب أن يرفع لهم اللسانيّون المحدثون القُبّعة.

ثانياً: المستوى الصرفي.

كان الدرس الصرفي يدرس ضمن كتب النحو في التراث العربي؛ ولعل أقدم نص وصل إلينا وفيه ذكر التصريف كان في كتاب سيبويه، وهو قوله:" هذا باب ما بنت العرب من الأسماء، والصفات، والأفعال، غير المعتلة، والمعتلة، وما قيس من المعتل الذي لا يتكلمون به، ولم يجِئ في كلامهم إلا نظيره في غير بابه، وهو الذي يسميه النحويون التصريف والفعل"(٤٧).

واستمر الدرس الصرفي في دراسة الأبنية مع التراكيب في التراث العربي حتى قيل: إن معاذًا الهراء (ت١٨٧هـ) هو أول من اختص من العلماء بعلم التصريف، ثم إن أول من دوّن علم التصريف باستقلال عن النحو هو المازني (ت٢٤٩هـ) في كتابه التصريف الذي ضمّ مسائل التصريف عموما؛ وهو الذي شرحه ابن جني في كتابه المنصف، ثمّ ألّف ابن جني كتاب التصريف الملوكي، وشرحه ابن يعيش (ت٦٤٣هـ) في كتابه شرح الملوكي، وهناك جهود لعلمائنا في مؤلفات صرفية مفردة، كالمصادر للكسائي(ت١٨٩هـ)، والمقصور والممدود، والمذكر والمؤنث، و(فَعَل وأفعل) لأبي عبيد (ت٢٢٤هـ)، وغيرها(٤٨).

أمّا عند المحدثين فقد أقام الدكتور تمام حسان النظام الصرفي على ثلاث دعائم: الأولى: معانٍ صرفية يعود بعضها إلى تقسيم الكلم، وبعضها الآخر إلى تصريف الصيغ؛ والثانية: طائفة من المباني بعضها صيغ مجردة، وبعضها لواصق، وبعضها زوائد؛ والثالثة: طائفة من العلاقات العضوية الإيجابية(٤٩).

ولم يغفل علماؤنا الأوائل عن العلاقة البنيويّة بين المستويات في اللغة؛ ومنهم ابن جني الذي أكّد التعالق بين المستويات بقوله:" إلا إن التصريف وسيطة بين النحو واللغة يتجاذبانه، والاشتقاق أقعد في اللغة من التصريف كما أن التصريف أقرب إلى النحو من الاشتقاق، فالتصريف إنما هو لمعرفة أنفس الكلمة الثابتة؛ والنحو إنما هو لمعرفة أحواله المتنقلة"(٥٠).

وبهذا نلحظ وضوح الرؤى لدى القدماء في الأصيل إلى المستوى الواحد في اللغة،

وعلاقته بالمستويات اللغوية الأُخر في وحدة عضويّة بنيويّة يأخذ بعضها بأعناق بعض، وهو ما أشار إليه دي سوسير حديثا من أن العلاقة بين المستويات هي علاقة بنيوية بدءاً من المستوى الصوتي حتى المستوى الدلالي مروراً بالمستويين الصرفي والنحوي(٥١).

ثالثاً: المستوى التركيبي.

اهتم علماؤنا الأوائل بدلالة التركيب النحوي أي دلالة الجملة؛ إذ يطالعنا سيبويه في أول كتابه حينما قال: "هذا باب الاستقامة من الكلام والإحالة؛ فمنه مستقيم حسن، ومحال، ومستقيم كذب، ومستقيم قبيح، وما هو محال كذب..."(٥٢)؛ فالمتأمل لنص سيبويه يجد الرجل يفرّق بين مستويات الكلام المعنوية تبعا لدلالة التركيب، واستمرت الدراسات النحوية المختصة بالجملة بعد سيبويه تترا؛ منها المقتضب للمبرد(ت٢٨٥ه)، والأصول لابن السراج(ت٣١٦هـ)، وصولاً إلى عصر السيوطي (ت٩١١هـ) وتأليفه همع الهوامع.

ولا أدل وأوضح على إسهامات علمائنا الأوائل واطلاع اللسانيين الغربين على نتاجهم اللساني من تشابه الرؤى المعرفية بين نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني(ت٤٧١ أو ٤٧٤هـ)، وتشومسكي؛ رفض تشومسكي المنهج الوصفي في النحو، ورأى أنه لا يدرك الجوانب الإنسانية في اللغة وذكر الواقع اللغوي عبر التعامل مع الآخرين، وربط اللغة بالجانب العقلي(٥٣)، وهذا التصور لتشومسكي أشار إليه عبد القاهر الجرجاني حينما تحدث عن نظرية النظم، وتشابه فيها مع فكرة التحويل والتوليد. فالجرجاني يرى النظم يتوقف على معاني النحو، وعلى الوجوه والفروق التي من شأنها أن تكون منه، وهذه الفروق أو الوجوه ذكرها كثيراً وليس لها غاية تقف عندها ونهاية لا نجد لها ازدياد بعدها، وقد نص الجرجاني على معنى التحويل والتوليد عندما بيّن أن المعاني (النحوية) مثل سبيل الأصباغ (الألوان) التي تعمل منها الصور والنقوش، واختلاف النظرة للقارئ لهذه الألوان(٥٤)؛ ونص الجرجاني على أهمية المعنى في تشكيل التركيب؛ لأن التحليل اللغوي يهمل المعنى الذي يكون مثل وصف تركيب السفن دون أن نشير إلى البحر، حيث يقول: "إن النظم ليس شيئاً غير توخي معاني النحو فيما بين الكلم، وأنك ترتب المعاني في نفسك ثم تحذو ترتيبها الألفاظ في نطقك"(٥٥).

رابعاً: المستوى الدلالي.

ويشمل تقريب لسانيي التراث بين الدراسات اللغوية والدراسات اللسانية مجال البحوث الدلالية، ومنها سياق الحال ومن أهم الملامح في النظر البلاغي عند العرب؛ فضلا عن اشتراطهم موافقة الكلام لمقتضى الحال، واستشعارهم المقولة السائدة: (لكل مقام مقال)، و (لكل كلمة مع صاحبتها مقام) [٥٦]؛ فهم بذلك قد وقعوا على عبارتين من جوامع الكلم تصدقان على دراسة المعنى في كل اللغات لا في العربية الفصحى فحسب، وتصلحان للتطبيق في إطار كل الثقافات على حد سواء، ولم يكن مالينوفسكي وهو يصوغ مصطلحه الشهير (Context of (Situation الذي يعني (سياق الحال) يعلم أنه مسبوق إلى مفهوم هذا المصطلح بألف سنة أو ما فوقها، إذ يقول الدكتور تمام حسّان مفتخراً:" لقد كان البلاغيون عند اعترافهم بفكرة المقام متقدمين ألف سنة تقريبا على زمانهم، لأن الاعتراف بفكرتي المقام والمقال باعتبارهما أساسين متميزين من أسس تحليل المعنى، يعتبر الآن في الغرب من الكشوف التي جاءت نتيجة لمغامرات العقل المعاصر في دراسة اللغة"[٥٧].

بل إن الجاحظ(ت٢٥٥ه) قد سبق النصيين المحدثين في بيان أهمية الكتابة التي تعدّ عندهم فيصلا بين النص والخطاب، فقال: "ولولا الكتب المدونة والأخبار المخلدة...لبطل أكثر العلم، ولغلب سلطان النسيان سلطان الذكر، ولما كان للناس مفزع إلى موضع استذكار))[٥٨]؛ فعند مقابلة هذا النص مع قول الدكتور حسن حنفي من النصيين المحدثين، وهو:"غير أن أهم عامل دعم النص وثبّت دوره هي الكتابة، حيث هي وسيلة لتجاوز ضعف الذاكرة، وفعل الزمن، فيتّخذ الملفوظ حيزاً في الفضاء، ويستقل بوجوده فيخترق العصور"[٥٩]؛ نجد أنهما يصدران من تفكير لساني واحد، مع فارق السبق للجاحظ في الاستدلال على أهمية الكتابة.

المبحث الثاني

تطبيقات لسانيّة في مباحث علوم القرآن

أولاً: أسباب النزول:

التفت المفسرون إلى أهمية سياق الحال وهو يتمثل عندهم فيما أطلقوا عليه أسباب النزول وبدؤوا بذكرها عند تفسير الآيات وحدّدوا وظائفها وفوائدها المتمثلة في الوقوف

على المعنى عند معرفة عناصر سياق الحال من طريق سبب النزول وقد اشترطوا في من يتصدى لتفسير القرآن الكريم وتأويله شروطاً لها علاقة بسياق الحال(٦٠).

فهناك علاقة بين أسباب النزول وسياق الحال، ذلك نَّ سبب النزول يمثل علاقة النص بالواقع فهو يزودنا بالحقائق التي يطرحها علينا بمادة جديدة ترى النص استجابة للواقع تأييداً أو رفضاً، وتؤكد علاقة الحوار والجدل بين النص والواقع(٦١)؛ ويتضح ذلك من مفهوم أسباب النزول؛ إذ يقصد بها "الأحداث والوقائع الملابسة للنص القرآني" (٦٢)؛ إذ إنَّ القرآن الكريم لم ينزل جملة بل نزل منجَّماً وقد ذكر الله سبحانه وتعالى علَّة ذلك فقال: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾ (الفرقان:٣٢).

ولذلك فإن لأسباب النزول فوائد وأهمية كبيرة في فهم المعنى(٦٣)، فقد ذكر الواحدي(٤٦٨هـ) انه لا يمكن " تفسير الآية وقصد سبيلها، دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها" (٦٤)؛ وكذلك لها أهمية كبيرة في رفع الإشكال ودفع التناقضات وذلك لأن "معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية، فإنَّ العلم بالسبب يورث العلم بالمسبَّب، وقد أشكل على جماعة من السلف معاني آيات حتى وقفوا على أسباب نزولها فزال عنهم الإشكال"(٦٥).

وقد بدت علاقة أسباب النزول بسياق الحال واضحة عند الزركشي (٧٩٤هـ) في حديثه عن فوائدها بقوله: " واخطأ من زعم أنه لا طائل تحته، لجريانه مجرى التاريخ، وليس كذلك؛ بل له فوائد؛ منها: وجه الحكمة الباعثة على تشريع الحكم، ومنها تخصيص الحكم به عند من يرى أنَّ العبرة بخصوص السبب، ومنها الوقوف على المعنى، قال الشيخ أبو الفتح القشيري: بيان سبب النزول طريق قوي في فهم معاني كلمات الكتاب العزيز، وهو أمر تحصل للصحابة بقرائن تحتف بالقضايا، ومنها أن يكون اللفظ عاماً ويقوم الدليل على التخصيص فإنَّ محل السبب لا يجوز إخراجه بالإجماع والاجتهاد"(٦٦).

فقد يستدل بعنصر من عناصر سياق الحال على آخر فيفيد في تبيين العنصر غير الظاهر منه عن طريق عنصر مذكور وهذا ذو فائدة في معرفة المكيّ والمدنيّ؛ بلحاظ الاستدلال ببعض عناصر سياق الحال على الأخرى، فالمكيّ ما نزل بمكة، وهو دليل على عنصر الزمان، وهو ما قبل الهجرة، والمدنيّ ما نزل بالمدينة، وهو دليل على عنصر الزمان، ما بعد الهجرة، وكذلك فإنَّ المكيّ ما وقع خطابا لأهل مكة والمدني لأهل المدينة، فاتخذوا عنصر

المُخاطَب دليلا على عنصر المكان. وغير ذلك مما يكون سياق الحال مرتكزاً لكشفه في تفسير القرآن الكريم(٦٧).

أمَّا الأصوليون فيبدو مفهوم السياق عندهم أكثر وضوحاً وتحققاً؛ لاتصال دراساتهم بالنص القرآني، إذ إنهم " فطنوا منذ زمن سحيق في القدم إلى الفرق بين ظاهر القرآن وباطنه فكان فهمهم لهذا الفرق تفريقاً منهم بين المعنى المقالي والمعنى المقامي"(٦٨)؛ فقد اعتمدوا على فكرة السياق في بيان المعنى في النصوص الشرعية، إذ يُعَدُّ اللجوء إلى قرائن السياق من وسائلهم لتحديد المعنى فقد وعوا تماماً أن ثمة نوعين من القرائن السياقية، الأولى هي القرائن اللفظية، والثانية هي القرائن المقامية، وفهموا الأثر الذي تقوم به هذه القرائن في تحديد دلالة النص(٦٩).

ثانياً: الناسخ والمنسوخ:

النسخ يعني الإلغاء، ومفهومه القرآني يعني التدرج في التشريع مراعاة للواقع المعيش أو لقدرة هذا الواقع على قبول النص؛ ولا شك أن هذا التغيير يؤكد العلاقة القوية بين النص والواقع، بين ثبات الأول، وتغيير الأخير، والتوجه إلى الواقع يفرض مراعاة شروطه التي هي مصالح العباد، وهي المقصد الأصلي من تشريع الأحكام؛ ولعل النموذج الأشهر لذلك هو آيات تحريم الخمرة؛ قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾ (البقرة:٢١٩)؛ وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ (النساء:٤٣)؛ وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (المائدة:٩٠ـ٩١)؛ فهذه الآيات قد تدرجت مع الواقع، أو مع قدرة الواقع على الاستجابة للأمر الإلهي، فالآية الأولى أشارت للإثم والنفع في الخمر؛ وغلّبت الأول على الثاني؛ وبعد ذلك تقدمت الآية الثانية بالنهي الجزئي عن شربها، ليصبح المجال مهيّأً للآية الثالثة التي أمرت بشكل قاطع باجتنابها وعدم الاقتراب منها(٧٠).

ثالثاً: المكي والمدني:

يجعله السيوطي من أهم علوم القرآن؛ وهو النوع الأول الذي يجب على الباحث في القرآن معرفته والإلمام به(٧١)؛ ومقولة المكي والمدني تستوعب ما يطلق عليه اللسانيون

المحدثون السياق الثقافي، فالمكي والمدني أكبر من مجرد وسيط مادي، فلكل منهما فاعلية نصية امتاز بها النص القرآني، فقد اختلف مضمونه باختلاف نزوله، لذلك تعد معرفة المكي والمدني في إطار هذا الملمح العام لتفاعل النص مع الواقع الخارجي بكليته، وبهذا يختلف عن أسباب النزول الذي يربط الآية بالحدث؛ وقد أدرك العلماء اختلاف الأسلوب بين المرحلتين، فكل ما كان في القرآن: (ياأيها الذين آمنوا) مكي؛ و(يا أيها الناس) مدني[٧٢].

رابعاً: القراءات القرآنية:

القرآن في اللغة من مادة (قرأ)، ورد في اللسان:" قرأ: القرآن التنزيل العزيز...قرأه يقرَؤه و يقرُؤه قرءاً وقراءةً وقرآنا... ويسمى كلام الله تعالى الذي أُنزل على نبيه صلى الله عليه [وعلى آله] وسلم كتابا وقرآنا وفرقانا، ومعنى القرآن معنى الجمع، وسمي قرآنا لأنّه يجمع السور، فيضمُّها"[٧٣].والقرآن اسم على غير مشتق خاص بكلام الله تعالى؛ في حين يرى الفراء(ت٢٠٧هـ)أنه مشتق من القرائن لأن الآيات فيه يصدّق بعضها بعضا، ويشابه بعضها بعضا وهي قرائن[٧٤].

ولا يكاد يخلو أي كتاب عند القدماء ممّن جاء بعد الزركشي (ت٧٩٤ه) أو بحث عند المحدثين مختصّ بالقراءات من إيراد رأي الزركشي في التفريق بين القرآن والقراءات[٧٥]، وهو قوله:((واعلم أن القرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان، فالقرآن هو الوحي المنزل على [رسولنا] محمد صلى الله عليه [وآله] وسلّم للبيان والإعجاز، والقراءات هي اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في كتبة الحروف أو كيفيتها؛ من تخفيف وتثقيل وغيرهما))[٧٦]؛ ورغم ذلك نرى المحدثين يحاولون لوي عنق هذا النص حتى وصل بهم التمحّل إلى الوقوع في التناقض كما في ذهاب أحد الدارسين المحدثين وهو د. محمد مسعود إلى أنّ: ((القرآن والقراءات حقيقتان متحدتان متغايرتان))[٧٧]، ولا أعلم كيف يكون المتحدان متغايرين!.

فضلاً عن ذلك لم يكن الزركشي وحده من أورد هذه الحقيقة فقد ذكر الدكتور عبد الهادي الفضلي أن ممن قرّر هذه الحقيقة من القدماء القسطلاني (ت٩٢٣هـ) في كتابه (لطائف الإشارات)، ومن المحدثين الإمام الخوئي ﷺ في كتابه (البيان في تفسير القرآن)، والدكتور صبحي الصالح في كتابه (مباحث في علوم القرآن)[٧٨].

ويردف الزركشي كلامه باختلاف حقيقتي القرآن والقراءات برأي مهمّ لا يقلّ أهمية

عن رأيه الأول وهو أن القراءات غير متواترة عن الرسول الأعظم (صلى الله عليه وعلى آله) بقوله: ((والتحقيق أنّها متواترة عن الأئمة السبعة أمّا تواترها عن النبي صلى الله عليه [وعلى آله] وسلم ففيه نظر))[٧٩]؛ فمن أين جاء توصيف القراءات بأنّها سنّة متبعة؟!...؛ أمّا عن أقسام القراءات فهي تنقسم في ضوء توفر شروط القراءة الصحيحة وهي:

- أن تكون القراءة موافقة للعربية ولو بوجه.
- أن تكون القراءة موافقة لأحد المصاحف العثمانية ولو احتمالا.
- أن يصح سندها عن الرسول الأعظم (صلى الله عليه وعلى آله وسلم)[٨٠].

ومتى اختل ركن من هذه الأركان الثلاثة أطلق على القراءة وصف ضعيفة أو شاذة أو باطلة سواء كانت عن السبعة أم عن غيرهم؛ فالقراءات تقسم اعتمادا على استجماع تلك الشروط، لا على من تنسب إليه؛ لذلك فإن القراءة المنسوبة إلى السبعة أو غيرهم تقسم تبعا لهذه الشروط على المجمع عليه والشاذ[٨١]؛ ويقسمها الدكتور الفضلي على المتواترة وهي ما قُطعَ باتصالها بالنبي ﷺ، والأحادية وهي القراءة الجامعة للأركان الثلاثة ولم يبلغ نقلها مستوى تفيد معه القطع باتصالها بالنبي(صلى الله عليه وعلى آله)، والشاذة وهي المخالفة لرسم المصحف[٨٢]. وبلحاظ النوع الثاني الذي لم يتّصل سنده بالنبي كيف يمكن أن نقول أنّ القراءات سنة مع عدم القطع بسندها! أمّا عن وجوه القراءات فقد جمعها ابن قتيبة(ت٢٧٦هـ) بقوله: وقد تدبرت وجوه الخلاف في القراءات فوجدتها سبعة أوجه:

١- الاختلاف في إعراب الكلمة، أو في حركة بنائها بما لا يزيلها عن صورتها في الكتاب، ولا يغيّر معناها، نحو قوله تعالى ﴿هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾ (هود:٧٨) وأطهرَ لكم..

٢- أن يكون الاختلاف في إعراب الكلمة وحركات بنائها بما يغيّر معناها، ولا يزيلها عن صورتها في الكتاب، نحو قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾ (سبأ:١٩)، وربُّنا باعد...

٣- أن يكون الاختلاف في حروف الكلمة من دون إعرابها، بما يغيّر معناها ولا يزيل صورتها، نحو قوله تعالى: ﴿وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا﴾ (البقرة:٢٥٩)، ونُنْشِرُهَا.

٤- أن يكون الاختلاف في الكلمة، بما يغيّر صورتها في الكتاب ولا يغيّر معناها، نحو قوله تعالى: ﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً﴾ (يس:٢٩)، و(زَقْيَةً).

٥- أن يكون الاختلاف في الكلمة، بما يزيل صورتها و معناها، نحو قوله تعالى: ﴿وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ﴾ (الواقعة:٢٩)، وَطَلْعٍ.

٦- أن يكون الاختلاف بالتقديم والتأخير؛ نحو قوله تعالى: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ﴾ (ق:١٩)، وجاءت سكرة الحق بالموت.

٧- أن يكون الاختلاف في الزيادة والنقصان نحو قوله تعالى: ﴿وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾ (يس:٣٥)، وما عملت أيديهم[٨٣].

والمتامّل في هذه الوجوه إذا ما استثنينا الوجه الأول نجدها تفتح الباب على مصراعيه لتغيير المعنى القرآني على خلاف ما أراده الله تعالى فضلا عن تغيير الأحكام الشرعية لأنّ القرآن دستور شرعي للأمّة قبل أن يكون كتاب لغة، ولا سيما بتحريف النص القرآني بالتقديم والتأخير والمعلوم أن هناك أسرار تعبيرية في تقديم بعض الألفاظ في النص القرآني و لا يكون هذا المعنى إذا تم التلاعب به لأنّه نص معجز بترتيبه وبعدد حروفه وكلماته فكيف يكون تغيير النص القرآني بالنقص أو الزيادة سُنّة!.

ومهما يكن من أمر فإن القراءات القرآنية تعد من الروافد التي أغنت الدرس اللساني ولا سيما التركيبي منها فإن اختلاف حركة حرف واحد يؤدي إلى اختلاف المعنى؛ قال الرضي(ت٦٨٨هـ): " فإذا عُطف على المجرور، فالحمل على الجر الظاهر أولى من الحمل على النصب المقدّر، وقد يحمل على المحل كما في قوله تعالى: ﴿وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ﴾ (المائدة:٦)، بالنصب[٨٤])[٨٥].

فقراءة الجر عند الرضي أولى من قراءة النصب لأنّه عطف على الظاهر، ولم يخطّأ قراءة النصب لأنها وجه قليل في اللغة، والدليل هو قوله: (وقد يحمل على المحل)، و(قد) مع الفعل المضارع تفيد تقليل مجيء هذا الوجه في العربية، ومع قلّته اعتمد الرضي هذه القراءة وإن جاءت على وجه قليل مادامت تمثل وجها في اللغة. في حين ذهب الفرّاء إلى

أنّه: ((نزل الكتاب [القرآن] بالمسح، والسنة بالغسل))[٨٦]، ولا أعلم كيف تتعارض السنة النبوية المشرّفة مع القرآن الكريم! أو كما في القاعدة النحوية الخلافية وهي العطف على الضمير المجرور مع عدم إعادة الجار؛ فقد ذهب الكوفيون إلى جوازه في السعة، والبصريون في ضرورة الشعر[٨٧]؛ أمّا سيبويه فقد وصف القاعدة بالقبح، والضرورة؛ قال:((ومما يَقبح أن يشركه المظهر علامة المضمر المجرور، وذلك قولك: مررت بك وزيدٍ، ... وجاز قمتَ أنت وزيدٌ، ولم يجز مررت بك أنت وزيدٍ، ... وقد يجوز في الشعر))[٨٨].

في حين ردّ الرضي مذهب الكوفيين فقال:((قال الكوفيون يجوز في السعة العطف على الضمير المجرور بلا إعادة الجار؛ والبصريون يجوزونه للضرورة، ؛ وأما في السعة فيجوزونه بتكلّف، وذلك بإضمار حرف الجر مع أنّه لا يعمل مقدّرا لضعفه. فقال المصنّف ههنا أنّه يتعين النصب نظرا إلى لزوم التكلّف في العطف؛ وقال الأندلسي: يجوز العطف على ضعف إن لم يقصد النص على صاحبه، وهو أولى، لوروده في القرآن، كقوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾ (النساء:١)، بالجر على قراءة حمزة[٨٩]))[٩٠]. فالرضي يرجّح ما ذهب إليه الكوفيون وهو عنده أولى استدلالا بقراءة حمزة، في حين خطّأ الزمخشري(ت٥٣٨هـ) هذه القراءة، إذ قال:((والجر: على عطف الظاهر على المضمر، وليس بسديد؛ لأن الضمير المتصل متصل كاسمه، والجار والمجرور كالشيء الواحد؛ ...فلما اشتد الاتصال لتكرره أشبه العطف على بعض الكلمة))[٩١]. في حين يرى د. محمد سمير اللبدي أن هذه القراءة أسّست لقاعدة نحوية وهي جواز العطف من دون إعادة العاطف[٩٢] اعتمادا على تقرير القاعدة من قبل ابن عقيل (ت٦٩٨هـ) لورودها سماعا نثرا ونظما[٩٣].

الخاتمة

١- كان لعلمائنا العرب دراسات لسانيّة رائدة؛ فعلى مستوى المصطلح كانت المصطلحات اللسانية الحديثة حاضرة عند علمائنا؛ فقد استعملوا العربية، والنحو، وعلم العربية، وفقه اللغة، وعلم اللسان، و علم اللسان؛ فمصطلح العربية كان مصطلحا عاما لعلوم اللغة عند العرب وقد يريدون به النحو كما قال الزبيدي(ت٣٧٩هـ) في طبقاته عن أبي الأسود الدؤلي(ت٦٩هـ) أنه:" أول من أسس العربية "؛ واستعمله السيرافي(ت٣٦٨هـ) في أخباره.

٢- وفي المقابل ثمة من رأى أن العرب القدامى قد أولوا اللغة العربية اهتماماً واسعاً، وقدموا ملاحظات ذات قيمة حول قضاياها، وتعد رؤاهم هذه بالنسبة إلى زمانهم متطورة، وقد قاموا بجهد هائل في دراسة اللغة، واجتهدوا في جمع أصول اللغة ولمّ شتاتها واستنباط أحكامها العامة، بل رأوا أنه بالإمكان تتبع المفاهيم التي أتوا بها ومقارنتها ببعض المفاهيم الألسنية المعاصرة.

٣- أمّا اللغويون المحدثون العرب فتعود بواكير انتقال الفكر اللغوي الغربي إلى البلاد العربية مع بداية الاتصال بالحضارة الغربية في العصر الحديث والتي بدأها رفاعة الطهطاوي وجرجي زيدان؛ وغيرهما ممن تأثر بالحضارة الغربية، وقد تجلت ملامح التجديد عند طهطاوي من خلال محاولته تصحيح بعض الأفكار اللغوية المغلوطة التي كانت سائدة بين أوساط المتعلمين، ولاسيما في الأزهر؛ وقد مكن منهج الطهطاوي القائم على أسلوب المقارنة بين العربية والفرنسية من فك طوق العزلة عن اللغة العربية؛ وكان التأثر بأفكار المنهج التاريخي المقارن قد ظهرت ملامحه بوضوح عند جرجي زيدان في كتابه الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية؛ إذ نجد عرضا لآراء علماء اللغة الفرنسيين في طبيعة اللغة، ووظيفتها، وطرق تحليلها؛ والإفادة من ذلك في دراسة اللغة العربية.

٤- إن النظرة الفاحصة في جهد تمام حسان اللساني تدعونا إلى تقسيم هذا الجهد على قسمين: أحدهما: تنظيري، عمد فيه إلى تقديم الأصول النظرية للسانيات الوصفية، وهو ما نراه متماثلا في كتابيه(مناهج البحث في اللغة) و، (اللغة بين المعيارية والوصفية)؛ والآخر: جهد إجرائي تطبيقي، سعى فيه المؤلف إلى تطبيق المبادئ والمفاهيم الوصفية، وتحديدا نظرية فيرث السياقية، وقد تجلى ذلك في كتابيه (اللغة العربية معناها ومبناها)، و(البيان في روائع القرآن)؛ والدليل على هذا التصنيف ما ذكره في مقدمة كل كتاب فقد ذكر في مقدّمة كتاب (اللغة بين المعيارية والوصفية)؛ أنه ((حين أخرجت للناس كتابي (مناهج البحث في اللغة)، تمنيت في مقدمته لو أن لو اتسع الزمان والمكان لدراسة فصول ثلاثة أخرى في ذلك الكتاب فصول ثلاثة أخرى في ذلك الكتاب.

٥- أمّا الدكتور إبراهيم أنيس فيلخّص جهده اللساني بما قدّمه من نتاج معرفي في مؤلفاته؛ كما في (دلالة الألفاظ)، و(الأصوات اللغوية)، و(اللهجات العربية)، و(من أسرار اللغة)؛ ففي المؤلَّف الأول تابع الجهد اللغوي عند الفلاسفة واللغويين العرب في تتبعهم لتطور دلالة الألفاظ، ونشأة اللغة، وأنواع الدلالات اللفظية، والصلة بين اللفظ ودلالته، واستيحاء الدلالة من الألفاظ، واكتساب الدلالة ونموها، والمركز والهامش في الدلالة، وتطور الدلالة، وعوامل تطور الدلالة اللفظية، وأعراض التطور الدلالي، ودور الدلالة اللفظية في الترجمة، وختم كتابه بفصل عن كنوز الألفاظ العربية وهي المعجمات العربية.

٦- التفت المفسرون إلى أهمية سياق الحال وهو يتمثل عندهم فيما أطلقوا عليه أسباب النزول وبدأوا بذكرها عند تفسير الآيات وحدّدوا وظائفها وفوائدها المتمثلة في الوقوف على المعنى عند معرفة عناصر سياق الحال من خلال سبب النزول وقد اشترطوا في من يتصدى لتفسير القرآن الكريم وتأويله شروطاً لها علاقة بسياق الحال.

هوامش البحث

(١) ـ ينظر: علم اللغة (السعران):٦٣.
(٢) ـ ينظر: الأسس اللغوية لعلم المصطلح: ٧.
(٣) ـ الخصائص:١/٤٠.
(٤) ـ كتاب الحروف (للفارابي):١٣٧.
(٥) ـ الخصائص:١/٣٣.
(٦) ـ دور الكلمة في اللغة:٣٧.
(٧) ـ ينظر: أسس علم اللغة:٤٠.
(٨) ـ ينظر: دروس في الألسنية العامة: ٣٣، واتجاهات البحث اللساني (مليكا افيتش):٢١٨.
(٩) ـ ينظر: مباحث في علم اللغة واللسانيات: ٢٤ـــ٢٥.
(١٠) ـ ينظر: مدخل إلى اللسانيات: ١٣ ـ ٢٤.

(١١) ـ ينظر: مبادئ في اللسانيات :٢٦.
(١٢) ـ ينظر: التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة:١٢.
(١٣) ـ ينظر: مدخل إلى اللسانيات: ١٣ ـ ٢٤.
(١٤) ـ ينظر: دروس في الألسنية العامة: ١٠٩ــ١١٣.
(١٥) ـ ينظر: علم اللغة (السعران):٦٣.
(١٦) ـ ينظر: مدخل إلى اللسانيات: ٢٧.
(١٧) ـ ينظر: دروس في الألسنية العامة: ١٠٩ــ١١٣.
(١٨) ـ دلائل الإعجاز:٤٩.
(١٩) ـ ينظر: مدخل إلى اللسانيات: ٢٨.
(٢٠) ـ ينظر: المصدر نفسه: ٢٨ــ ٢٩.
(٢١) ـ ينظر: دروس في الألسنية العامة: ٣٢، واللسانيات (بو قرة):٦.
(٢٢) ـ ينظر: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب (الدكتور محمد خطابي) : ١٩.
(٢٣) ـ ينظر: مدخل إلى اللسانيات: ٢٨.
(٢٤) ـ ينظر: مدخل إلى اللسانيات: ٢٨.
(٢٥) ـ ينظر: فصول في علم اللغة التطبيقي تأليف الدكتور فريد عوض حيدر: ١٥٢ ــ١٥٥.
(٢٦) ـ ينظر: مدخل إلى اللسانيات: ٣٢.
(٢٧) ـ ينظر: المصدر نفسه: ٣٣.
(٢٨) ـ ينظر: المزهر(للسيوطي (٥٩١١): ٤٣/١.
(٢٩) ـ ينظر: مدخل إلى اللسانيات: ٣٥.
(٣٠) ـ طبقات النحويين واللغويين: ٢١.
(٣١) ـ أخبار النحويين البصريين: ١٥.
(٣٢) ـ ينظر: طبقات النحويين واللغويين: ١١.
(٣٣) ـ ينظر: اللسانيات(نعمان بوقرة) :٩.
(٣٤) ـ الفهرست:٣٩٨.
(٣٥) ـ ينظر: الفهرست: ٨ ـ ٩.
(٣٦) ـ ينظر: فصول في فقه اللغة (رمضان عبد التواب): ١٣، ومقدمة لدراسة فقه اللغة:٣٥ـ٥٥.
(٣٧) ـ ينظر: التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة :١٢.
(٣٨) ـ ينظر: المدخل إلى علم اللغة(رمضان عبد التواب): :١٠ـ ١١.
(٣) ينظر: اللسانيات واللغة العربية: نماذج تركيبية ودلالية (عبد القادر الفاسي):٥١- ٦١.

(١) ينظر: الملكة اللسانية في مقدمة ابن خلدون (ميشال زكريا):٧؛ ونظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث (نهاد الموسى):١١-٢٥، وقد أشار إلى جهود القدامى وكيفية اشتراكها مع اللغات الأخرى في مجال النحو المعياري وبعض القضايا اللغوية.

(٢) ينظر: مؤلفات العلماء الذين ربطوا بين معطيات المعاصرين والفكر اللغوي اليوناني القديم في: أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب ونظريات البحث اللغوي الحديث في مجالي مفهوم اللغة والدراسات النحوية (أحمد البهنساوي): ٢.

(٤٢) ـ العين:٤٧/١.

(٤٣) ـ العين :٥٢/١.

(٤٤) ـ ينظر: الكتاب :٤٣٢/٤.

(٤٥) ـ اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة(حافظ اسماعيلي علوي):١٦٤.

(٤٦) ـ يُنظر: المدارس الصوتية عند العرب: ٢١٣.

(٤٧) ـ ينظر: الكتاب :٤٣٢/٤.

(٤٨) ـ ينظر: ابن عصفور والتصريف (د. فخر الدين قباوة) :٤٠ـ٤٧.

(٤٩) ـ ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها :٨٢.

(٥٠) ـ المنصف في شرح التصرف: ٣٤، والتصريف العربي من خلال علم الأصوات :١٧.

(٥١) ـ يُنظر: علم اللغة العام؛ تأليف: دي سوسير؛ ترجمة الدكتور: يوئيل يوسف :١٥٤- ١٥٥.

(٥٢) ـ الكتاب: ٢٥/١.

(٥٣) ينظر:جوانب من نظرية النحو(نعوم تشومسكي):٢٧ــ٣٢، ونظرية تشومسكي اللغوية(جون ليونز):٢٣٣ــ ٢٥٢.

(٢) ينظر: دلائل الإعجاز:٧٤، والدلالة الساقية عند اللغويين(كنوش):١٤٦ـ١٤٧.

(٣) ينظر: المصدر نفسه :٥٥.

(٥٦) ينظر:التفكير البلاغي عند العرب(د.حمادي صمود):١٠١ــ١٠٤، والظاهرة الدلالية:٣٥٦.

(٥٧) اللغة العربية، معناها ومبناها :٣٣٧.

(٥٨) الحيوان: ٤٧١/١، وينظر: التفكير البلاغي عند العرب: ١٢٧.

(٥٩) مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه: ١٤.

(٦٠) يُنظر : البرهان في علوم القرآن، الزركشي :١٣/١.

(٦١) يُنظر : مفهوم النص، نصر حامد أبو زيد : ٩٧.

(٦٢) يُنظر : دراسة المعنى عند الأصوليين، طاهر سليمان حمودة :٢٢٢.

(٦٣) يُنظر للتفصيل في ذلك: فصول في علم الدلالة : ١٤٨-١٧٤.

(٦٤) أسباب النزول، الواحدي : ٤.

(٦٥) لباب النقول في أسباب النزول، السيوطي :١٣.
(٦٦) البرهان في علوم القرآن، الزركشي:١/٢٢-٢٦، و يُنظر: الإتقان في علوم القرآن، السيوطي:١/٢٨-٣٤.
(٦٧) يُنظر : فصول في علم الدلالة : ١٤٨-١٧٦.
(٦٨) اللغة العربية، معناها ومبناها :٣٣٩.
(٦٩) يُنظر : البحث الدلالي عند الأصوليين، د.محمد يوسف :١٢.
(٧٠) يُنظر : النص والخطاب قراءة في علوم القرآن:٩٥ــ٩٦.
(٧١)يُنظر: الإتقان في علوم القرآن، السيوطي:١/٤٨.
(٧٢) يُنظر : النص والخطاب قراءة في علوم القرآن:٩٧ــ٩٨.
(٧٣) ــ لسان العرب: ١/١٢٨ (قرأ)، وينظر: المعجم الوسيط:٢/٧٢٩.
(٧٤) ـ ينظر: القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية:١.
(٧٥) ـ ينظر على سبيل المثال: الإتقان:١/٢٨٤، ومن المحدثين ينظر: القراءات وأثرها في علوم العربية:١/١٦، و القراءات القرآنية بين المستشرقين والنحاة:١١، والقراءات القرآنية تاريخ وتعريف:٧٣.
(٧٦) ـ البرهان:١/٣١٨، وينظر: والقراءات واللهجات(د.عبد الوهاب حمودة):٤.
(٧٧) ــ أثر القراءات القرآنية في الفهم اللغوي(د.محمد مسعود):١٦.
(٧٨) ــ ينظر: القراءات القرآنية تاريخ وتعريف:٧٣.
(٧٩) ـ البرهان:١/٣١٩.
(٨٠) ـ ينظر: الاتقان:١/٢٣٠، ومعجم القراءات القرآنية:١/٩٩، واللهجات العربية في القراءات القرآنية:٩١.
(٨١) ــ ينظر: المصدر نفسه: ١/٢٣٠.
(٨٢) ــ ينظر: القراءات القرآنية تاريخ وتعريف:٧١.
(٨٣) ـ ينظر: تأويل مشكل القرآن:٩٢ ـ٩٤، و القراءات القرآنية بين المستشرقين والنحاة:١٧ ــ ٢٠.
(٨٤) ــ وهي قراءة نافع، وان عامر، والكسائي؛ ينظر: السبعة:٢٤٢، والمعجم:٢/١٩٤.
(٨٥) ــ شرح الرضي:١/٦٣.
(٨٦) ـ معاني القرآن: ١/٣٠٢.
(٨٧) ــ ينظر: معاني القرآن للأخفش: ١/٤٣٠، المقتضب:٤/١٥٢، والأصول في النحو:٢/١١٩، وشرح بن يعيش: ٣/٧٨، وائتلاف النصرة في اختلاف نحاة الكوفة والبصرة:٦٢، والإنصاف في مسائل الخلاف:٣٧١.
(٨٨) ــ الكتاب:٢/٣٨١ــــ٣٨٢، وينظر: نحو القراء الكوفيين/:١٠٣، ومواقف النحاة من القراءات القرآنية:٣٥٢.
(٨٩) ـ تنظر هذه القراءة التي اختص بها حمزة من السبعة في: المعجم:٢ /١٠٤، والسبعة لابن مجاهد:٢٢٦، والقراءات القرآنية وأثرها في الدراسات النحوية:١٩٩، والقراءات وأثرها في علوم العربية: ٢/٢٤٦.

(٩٠) ـ شرح الرضي:٥٢٢/١؛ والقارئ من السبعة وقد مرّ ذكره.
(٩١) ـ الكشاف:٤٦٢/١، وينظر: البرهان ٣٢١/١ ــ ٣٢٢.
(٩٢) ــ ينظر: أثر القراءات والقرآن في النحو العربي:٢٢٤.
(٩٣) ــ ينظر: شرح بن عقيل:١٩٧/٣.

قائمة المصادر والمراجع

إن خير مانبتديء به القرآن الكريم

١. إئتلاف النصرة في اختلاف نحاة الكوفة والبصرة، عبد اللطيف بن أبي بكر الشرجي الزبيدي (ت٨٠٢هـ)، تحقيق: الدكتور طارق عبد عون الجنابي، عالم الكتب، ط١، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
٢. ابن عصفور والتصريف، فخر الدين قباوة، دار الفكر المعاصر، بيروت، ٢٠٠٠م.
٣. اتجاهات البحث اللساني، تأليف مليكا افيتش، ترجمة: د. سعد مصلوح، ود. وفاء كامل، مطبعة المجلس الأعلى للثقافة، د ط، د ت،
٤. الإتقان في علوم القرآن: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت٩١١هـ) مكتبة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة ١٩٧٨م.
٥. أثر القراءات القرآنية في الفهم اللغوي، د. محمد مسعود، دار السلام، مصر، ط ١، ٢٠٠٩م.
٦. أثر القرآن والقراءات في النحو العربي، د. محمد سمير نجيب اللبدي، دار الكتب الثقافي، الكويت، ط١، ١٩٧٨م.
٧. أخبار النحويين البصريين، السيرافي(ت٣٦٨هـ)، تحقيق: طه محمد الزيتي، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ط١، ١٩٥٥م.
٨. أسباب نزول القرآن: أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي (ت ٤٨٧هـ) تحقيق: كمال بسيوني زغلول، بيروت دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤١١هـ.
٩. الأسس اللغوية لعلم المصطلح، د. محمود حجازي، دار غريب، مصر، دط، دت.
١٠. أسس علم اللغة، ماربو باي، عالم الكتب، مصر، ط٨، ١٩٩٨.
١١. الأصوات اللغوية، د.إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٩٩م.

١٢. الأصول في النحو: ابن السراج، أبو بكر بن محمد بن سهل البغدادي (ت٣١٦هـ)، تحقيق: د. عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، الطبعة الرابعة ١٩٩٩ م

١٣. الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين:البصريين، والكوفيين، أبو البركات الأنباري (ت ٥٧٧ هـ)، تحقيق:د. جودة مبروك محمد مبروك، مراجعة: د. رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٢م.

١٤. أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب ونظريات البحث اللغوي الحديث، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٩٩٤م.

١٥. البحث الدلالي عند الأصوليين: للدكتور محمد يوسف حبلص، مكتبة عالم الكتب، الطبعة الأولى، ١٩٩١م.

١٦. البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي(ت٧٩٤هـ)، تحقي: أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي، مصر، ط ١، ١٩٥٨م.

١٧. البيان في تفسير القرآن، للإمام أبي القاسم الخوئي ﷺ (ت١٤١٣هـ)، مؤسسة إحياء آثار الخوئي، قم ــ إيران، ط٣، ٢٠٠٧م.

١٨. البيان في روائع القرآن، د. تمام حسان، عالم الكتب، ط٢، ٢٠٠٠م.

١٩. تاريخ آداب اللغة العربية، (جرجي زيدان)، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٨٣م.

٢٠. تأويل مشكل القرآن، للإمام بن قتيبة(ت٢٧٦هـ)، تحقيق: أحمد صقر، دار التراث، القاهرة، ط١، ١٩٧٣م.

٢١. التصريف العربي من خلال علم الأصوات؛ د. الطيب البكوش، ترجمة صالح القرمادي، ط٢، ١٩٨٧م.

٢٢. التفكير البلاغي عند العرب، د. حمادي صمّود، دار الكتاب الجديد، ط ٣، ٢٠١٠م.

٢٣. التفكير الدلالي في الدرس اللساني العربي الحديث، د.خالد خليل، ناشرون، ط١، ٢٠١٢م.

٢٤. التيسير في القراءات السبع، أبو عمرو بن سعيد الداني(ت٤٤٤هـ)، تحقيق: أوتو يرتزل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٢، ٢٠٠٥م.

٢٥. جوانب من نظرية النحو، (نعوم تشومسكي)، ترجمة: مرتضى باقر، منشورات جامعة الموصل، ١٩٨٥م.

٢٦. الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني (ت٣٩٢هـ)، تحقيق:محمد علي النجار، دارالهدى، لبنان، ط ٢.(د.ت)

٢٧. دراسات في علم اللغة، القسم الثاني: د.كمال محمد بشر، الطبعة الثانية، مطابع دار المعارف بمصر، ١٩٧١ م.

٢٨. دراسة المعنى عند الأصوليين: د.طاهر سليمان حمودة، الدار الجامعية للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، مصر، ١٩٨٣ م.

٢٩. دروس في الالسنية العامة، دي سوسير، تعريب صالح القرمادي، الدار العربية للكتاب، مصر، دط، دت.

٣٠. دلالة الألفاظ، د. إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، ٢٠٠٤م.

٣١. الدلالة السياقية عند اللغويين: د.عواطف كنُّوش المصطفى، دار السياب للطباعة والنشر والتوزيع، لندن، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧م.

٣٢. الدلالة والتقعيد النحوي، دراسة في فكر سيبويه: د.محمد سالم صالح، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦م.

٣٣. دلائل الإعجاز، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني(ت٤٧١أو٤٧٤هـ)، تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، جدة، ط ٣، ١٩٩٢م.

٣٤. دور الكلمة في اللغة: استيفن اولمان، ترجمة وتقديم وتعليق: د.كمال بشر، دار الكتب العلمية، بيروت غريب للطباعة والنشر، القاهرة، (د.ت).

٣٥. شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، بهاء الدين عبد الله بن عقيل (ت٦٩٨هـ)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الطلائع للنشر والتوزيع، القاهرة، ط ٢، (د.ت)

٣٦. شرح الرضي على كافية ابن الحاجب، رضي الدين الإستراباذي(ت٦٨٨هـ)، تحقيق: يوسف حسن عمر، جامعة قار يونس، ١٩٧٨م.

٣٧. شرح المفصل، موفق الدين بن يعيش(ت٦٤٣هـ)، عالم الكتب، بيروت، (د.ت).

٣٨. الصحاح، إسماعيل بن حماد الجوهري(ت٣٩٣هـ)، تحقيق: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، ط ٢، ٢٠٠٧م.

٣٩. طبقات النحويين واللغويين، أبي بكر الزبيدي(ت٣٧٩ه)، تحقيق:محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط٢، ١٩٨٤م.

٤٠. الظاهرة الدلالية عند علماء العربية القدامى حتى نهاية القرن الرابع الهجري، د. صلاح الدين زرال، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط١، ٢٠٠٨م.

٤١. علم اللغة، مقدمة للقارئ العربي: د.محمود السعران، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت (د.ت).

٤٢. علم اللغة الاجتماعي (مدخل): د. كمال بشر، دار الثقافة العربية، طبعة سنة ١٩٩٤م.

٤٣.العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي(ت١٧٥هـ)، تحقيق:د.مهدي المخزومي، ود.إبراهيم السامرائي، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨٠م.

٤٤. فصول في علم الدلالة: د.فريد عوض حيدر، مكتبة الآداب القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م.

٤٥. فصول في علم اللغة التطبيقي [علم المصطلح وعلم الأسلوب]؛ تأليف الدكتور فريد عوض حيدر، الناشر مكتبة الآداب، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٨ م.

٤٦. فصول في فقه اللغة، د.رمضان عبد التواب، الخانجي، ط٢، ١٩٨٣م.

٤٧.القراءات القرآنية بين المستشرقين و النحاة، د. حازم سليمان الحلي، مطبعة القضاء، النجف، ١٩٨٧م.

٤٨.القراءات القرآنية تاريخ وتعريف، د. عبد الهادي الفضلي، مركز الغدير، بيروت، ط٤، ٢٠٠٩م.

٤٩. كتاب الحروف، للفارابي(ت٣٩٣هـ)، تح: محسن مهدي، دار المشرق، بيروت، ط٣، ٢٠٠٤م.

٥٠. كتاب الحيوان، أبو عثمان الجاحظ (ت٢٥٥هـ)، تح: د.عبد السلام هارون، الخانجي، مصر، ط٣، ١٩٦٧م.

٥١. كتاب السبعة في القراءات، ابن مجاهد(ت٣٢٤ه)، تحقيق: د. شوقي ضيف، دار المعارف، ط٣، د.ت.

٥٢. الكتاب، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه(ت١٨٠هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٩٨٨م.

٥٣. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، للإمام جار الله الزمخشري(ت٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت ــ لبنان، د ط، د ت.

٥٤. لباب النقول في أسباب النزول: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق وتعليق: د.حمزة التشتري واخرون، المكتبة القيمة، القاهرة، (د.ت).

٥٥. لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور(ت٧١١هـ)، دار صادر، ودار بيروت، ١٩٥٦م.

٥٦. اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة، د. نعمان بو قرة، عالم الكتب الحديث، ط١، ٢٠٠٩ م.

٥٧. لسانيات النص مدخل الى انسجام الخطاب د. محمد خطابي، مطبعة المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ــ المغرب، ط ٢ /٢٠٠٦ م

٥٨. اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، حافظ اسماعيلي علوي، دار الكتاب، ط ١، ٢٠٠٩م.

٥٩. اللسانيات واللغة العربية: نماذج تركيبية ودلالية، الفهري، عبد القادر الفاسي، ط١، منشورات عويدات، بيروت، باريس، ١٩٨٦م.

٦٠. اللغة العربية، معناها ومبناها: د. تمام حسان، عالم الكتب، الطبعة الرابعة، ٢٠٠٤م

٦١. اللغة بين المعيارية والوصفية، د. تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ٢٠٠٠م.

٦٢. اللهجات العربية في القراءات القرآنية: د. عبده الراجحي، مكتبة المعارف، الرياض، ط١، ١٩٩٩م.

٦٣. مباحث في علم اللغة واللسانيات، د.رشيد العبيدي، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ط١، ٢٠٠٢م.

٦٤. مبادئ في اللسانيات، د. خولة طالب الإبراهيمي، دار القصبة، ط٢، ٢٠٠٦م.

٦٥. المدارس الصوتية عند العرب، د. علاء جبر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٦م.

٦٦. مدخل الى اللسانيات، د. محمد محمد يونس علي، دار الكتب الجديد، ط١، ٢٠٠٤م.

٦٧. المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، د.رمضان عبد التواب، الخانجي، مصر، ط٣، ١٩٩٧م.

٦٨. مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، د. محمد الأخضر الصبيحي، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط١، ٢٠٠٨م.

٦٩. المزهر في علوم اللغة وأنواعها، جلال الدين السيوطي(ت٩١١هـ)، تحقيق: محمد أحمد جاد المولى، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، وعلي محمد البجاوي، دار إحياء الكتاب العربي، عيسى البابي الحلبي، ط٢، (د.ت).

٧٠. معاني القرآن، أبو زكريا الفراء(ت٢٠٧هـ)، تحقيق: أحمد يوسف نجاتي، ومحمد علي النجار، دار السرور، (د.ت).

٧١. معاني القرآن، سعيد بن مسعدة الأخفش (ت٢١٥هـ)، تحقيق: د. عبد الأمير الورد، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٩٨٥م.

٧٢. معجم القراءات القرآنية، إعداد: د. عبد العال سالم مكرم، ود. أحمد مختار عمر، مطبوعات جامعة الكويت، ط ١، ١٩٨٢م.

٧٣.المعجم الوسيط، تأليف: براهيم مصطفى، وأحمد حسن الزيات، وحامد عبد القادر، ومحمد علي النجاة، وأشرف على طبعه عبد السلام هارون، المكتبة العلمية، طهران.

٧٤.مفهوم النص دراسة في علوم القرآن: د. نصر حامد أبو زيد، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٤م.

٧٥. المقتضب: أبو العباس محمد بن يزيد المبرد (ت٢٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت (د.ت).

٧٦. مقدمة لدراسة فقه اللغة، د.محمد أبو الفرج، دار النهضة العربية، دط، دت.

٧٧.الملكة اللسانية في مقدمة ابن خلدون، زكريا، ميشال، بيروت، ١٩٩٢م.

٧٨.من أسرار اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، ٢٠٠٣م.

٧٩. النحو والدلالة مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي: د. محمد حماسة عبد اللطيف، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م.

٨٠. نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث، والموسى، نهاد، ط٢، دار البشير، الأردن، ١٩٨٧م.

٨١. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع: جلال الدين السيوطي، تحقيق: احمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٩٩٨م.

٨٢. ونظرية تشومسكي اللغوية، (جون ليونز)، ترجمة: حلمي خليل، دار المعرفة، مصر، ط١، ١٩٨٥.